

ديانا دعوة ملكية لزواج أسطورى

- خملى ماذا حدث ؟!

- ماذا حدث ؟!

- تلقيت دعوة من القصر الملكى!

- ماذا؟!

- وذلك لحضور حفلة صيد، وقضاء أجازة فى قصر ساندرىجهام

- أمعقول ؟! من الممكن أن تكونى ملكة بريطانيا .

- أشك فى هذا، هل تشاهدينى أصلح لمثل هذه الحفلات الملكية ؟!

كان هذا الحوار، الذى دار بين ديانا ولوسيندا كريج صديقة أختها سارة، والتى كانت تعمل فى بيتها فى تنظيف حجراته وكى ملابس عشاقها، وكان آخر ما توقعته ديانا أن تأتيها مثل هذه الدعوات، رغم صلتها وصلة أختها سارة بالقصر الملكى، ومقابلة تشارلز فى حديقة قصر والدها، عبر محاولة سارة أختها الكبرى فى الفوز به كزوج.

وتذكر ديانا أن أختها حاولت أن تبعتها عن طريق الأمير وقد نجحت في هذا، لكن ما يدعو إلى الحيرة والدهشة بالنسبة لديانا، أن هذه الدعوة جاءت عقب إذاعة القصر الملكي رغبة أمير ويلز في الاستقرار واختيار زوجة له، وزواج أختها سارة من نيل ماكوركديل، وقد صرح تشارلز في وقت لاحق حول اختياره لزوجة له قائلاً (إن الزواج أهم بكثير من الوقوع في الحب، وأعتقد أن المرء يجب أن يفكر في الزواج على أنه شعور متبادل بين الزوجين بالاحترام، وأساساً يجب أن يكون الزوجان صديقين حميمين، وأنا واثق أن الحب سوف ينمو نتيجة لهذه الصداقة، ونظراً لوضعي الخاص ومسئولياتي فإنني يجب أن أتأكد من اتخاذ القرار السليم، إن آخر شيء أفكر فيه هو احتمال أن أنفصل عن زوجتي القادمة بالطلاق)، (إن زوجتي القادمة يجب أن تدرك أنها لا تتزوج مثل الأخريات، لأنها ستتزوج نظاماً للحياة أيضاً، وإذا كنت أبحث عن زوجة تقاسمني الخمسين سنة القادمة من حياتي، فإن هذا آخر قرار أريد أن يمليه قلبي على عقلي).

ما قاله تشارلز يعتبر في المقام الأول رسالة واضحة وموجهة إلى المرأة التي ستستطيع أن تشاركه حياته، مشاركة فاعلة ومؤثرة في مقتضيات أصول وأحكام النظم الملكية البريطانية، حين تتحول من امرأة عامة لها كافة صلاحيات مبدأ الحرية والتعددية السلوكية إلى امرأة خاصة، وفق شروط خاصة، يرتضيها الغير فيها، ويقبل عليها طبقاً للأحكام الجوهرية في أنها ستكون أميرة وزوجة لملك البلاد، عبر القدرة الصادقة في تنازلات متعددة وكثيرة تحولها من العام إلى العالم الخاص.

هذا العالم الخاص في نظر تشارلز وفي يقين أمه اليزابيث، وفقاً لهذا التنظيم الاستعلائي هو ما يجب أن يسود سلوك الأميرة في هذه القصور، بغض النظر تماماً عن السلوك الخاص بتشارلز، حين أباح لذاته حرية العشق والفجور مع نساء الأصدقاء وغير الأصدقاء، وما يعترى هذا السلوك من شائعات، قد تكون صادقة، وقد تكون ضرباً من خيال حكايات الناس في المقاهي والحانات ومنازل المعجبين للتاج أو الرافضين لبقائه وسط عالم من الانحرافات التي لا تليق بالأمير الشاب. هل هذا الفكر استطاعت أن

تستوعب مغزاه ديانا؟ أم لم تستطع طبيعتها المنطلقة في دائرة ومحيط معنى «العذرية، أن تتقبله، خروجاً منها عليه، أم خضوعاً له عن إرادة غير حقيقية فيها ١٤.

حاولت ديانا قبل أن تكون زوجة، أن تكون قريبة من قلب الأمير، حاولت أن تعرف الجديد، مكتفية بما عرفته من القديم في تاريخ تشارلز، الذي امتلأت صفحاته بأجساد غيرها من النساء، خاصة جسد كاميليا في مرايا حجرات النوم، حتى تقابلت ديانا وتشارلز، وتواجهها وجهاً لوجه، وجه شاب تجاوز سنه أكثر من ثلاثين عاماً، أمام وجه برئ القسمات، واضح الاستواء، عبر عيون حاملة بريئة، أمام عيون مثل عيون الذئاب والثعالب، كانت ديانا صغيرة أكثر من اللازم لسن تشارلز، كانت في بداية رحلة الظمأ إلى مستقر، وكان تشارلز يلفظ أنفاسه فوق أكتاف كاميليا، ومع ذلك أحسنت ديانا عندما شاهدت الأمير أنها لم تعرف بعد خلفيات المصير القادم. حاولت ديانا أن تتقبله بكل ما فيه، من سلبيات وإيجابيات، من عمليات هبوط أخلاقي، إلى عمليات صعود معنوي، حتى كادت في داخلها أن تقول أن تشارلز هو فعلاً فارسها الموعد، عندما بدأت في صحبته إلى كثير من الحفلات الترويحية والموسيقية الأوبرالية، ورحلاته البحرية، فوق يخته المفضل «بريتانيا»، الذي كان من أفضل وأفخر وأقوم يخوت والده الأمير فيليب منذ شبابه الباكر.

وبدأت ديانا تدخل عالم الأقارب والأصدقاء، يدفعها في هذا رغبتها الأكيدة في تاج بريطانيا، وعشقها الخيالي في الأضواء التي ستغمرها حتى النخاع، ومع هذا بقي هذا الحاجز أو هذا الفاصل الشعوري الداخلي بينها وبين الأمير الذي تعرف مسبقاً أنه سيكون زوجها، والتي لم تستطع أن تزيل جزءاً منه حتى آخر يوم في حياتها، رغم أنها أسلمت له ما في قلبها من أمل أن تسير حياتها معه إلى آخر المدى.

ومنذ هذا اللقاء بين ديانا والأمير تشارلز منذ أوائل شهر يوليو عام ١٩٨٠ في ثلثيا وردحات قصر بالمورال أو عند شقيقتها جيني، أو عبر لقاءات المساء، أو حول الاستراحات الخاصة بالقصور، أو أثناء رحلات صيد الأسماك أو جمع الزهور، أو حول مضمار سباق الخيل، أثارت ديانا فضول الآخرين، خاصة المصورين، سواء المصورين

الهوة أو غيرهم من الذين يعملون فى عالم الصحافة، وجميعهم دون استثناء سطوا على انتباهه ديانا، التى كانت تحلم بالضوء وفلاشات الكاميرات، تحلم أن الدنيا كلها يجب أن تكون نهار ساطع، تسطع بدفتها فى كل مكان، فى كل المدن وكل القرى الإنجليزية، ألم يختارها الأمير تشارلز؟ وفضلها عن كل نساء الأرض؟ ألم توشك أن تزف إليه أميرة متوجة على مقاطعة أو إمارة ويلز؟!! من الجانب الآخر بدأ اهتمام وسائل الإعلام فى الإقتراب من ديانا، مثلها مثل كاميرات المصورين ورجال الأركان الثابتة فوق صفحات الجرائد والمجلات، خاصة أن هؤلاء المصورين وجدوا فى مقاييس جسد ديانا أو فى قسما ت وجهها البشوش خواص التمايز ونواصى التفرد فى جعل صورها مناطق جذب صحفى، وهى بدورها شجعت الكثير منهم، فى انتظارها والإقتراب منها وأخذ صورها فى أوضاع كثيرة لها، والكتابة عنها، عبر حوارات قليلة معها، والتقاط بعض الصور معها، وكان هؤلاء من المصورين ورجال الصحافة يرون أن من واجبه المهنى أمام جماهير الشعب البريطانى أن يقدموا له بعضاً من حياة ديانا، التى ستكون فى يوم ما أما ملك الإنجليز، عبر وراثته عرش والده بعد رحيل الملكة اليزابيث، بحيث يقرأ ويرى ويعرف الشعب الإنجليزى من هى ديانا، هذة التى جاءت مثل السندريلا لتملاً حياة الأمير، أمير هذا الشعب الاستقرار والأمن والحب والسلام .

كانت ديانا فى هذا الوقت قبل الزفاف فراسة جميلة، تنتقل من مكان إلى آخر، مقبلة على الدنيا، فاتحة ذراعها بالأمل والحب، محاولة بقدر الإمكان أن تجعل العيون تطاردها وتحاصرها، وهى الرشيقة الساقين، الهيفاء القامة، الملونة العيون، الذهبية الشعر، الحلوة الكلمة، البديعة الائمة، إطروحة الابداع الوجدانى فى عيون عشاق لندن. وبهذا أقامت ديانا علاقة حميمة مع الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة، مما دفع تشارلز أن يغضب أحيانا كثيرة فى هذا السلوك الفضولى حول حياته وبعض أسراره، خاصة أن هذة الوسائل الإعلامية كشفت أسراراً كثيرة كان تشارلز لا يرغب فى كشفها، خاصة بعض الصور التى تجسم التجسيم الجميل لجسد خطيبته ديانا .

قد تحدث الكاتب أندرو مورتون فى كتابه عن ديانا، حول هذا العالم الذى بدأت تدخله ديانا ويفرض عليها طابعه ومصوريه، عالم الصحافة، وهذة الأزمة التى ستتزايد آثارها فى السنين القادمة حيث يقول (واشتركت امها فى المعركة مع الصحافة للدفاع



عن ابنتها، فكتبت رسالة إلى جريدة التايمز تشكو فيها من الأكاذيب والمضايقات التي تتعرض لها ابنتها الصغرى ديانا، منذ أن أصبح غرامها مع الأمير معروفا للجمهور، وقالت الأم في رسالتها لجريدة التايمز (هل لى أن أسأل رؤساء التحرير فى شارع الصحافة، فيليت ستريت، إذا كان من الضروري لعملهم أن يضايق المحررون ابنتها ليل نهار، من الفجر حتى غروب الشمس يوميا، هل هذا عدل أن تعامل ابنتها هكذا ١٤) ويرد ف قائلا بعد ذلك (وبينما الأم تشكو من الصحافة قرر ستون عضوا فى البرلمان اعداد مشروع بيان لاستنكار الطريقة تعامل بها الصحافة ليدى ديانا سبنسر، وتم اجتماع بين رؤساء التحرير ومجلس الصحافة البريطانى، ورغم ذلك استمر حصار الصحافة حول منزل ديانا، وحاصر الصحفيون أيضا قلعة الأسرة المالكة الشتوية فى قصر ساندر بجهام، ولم يسلم قصر ويندسور من الحصار، رغم ما به من بوليس ومتحدثين صحفيين باسم الملكة. وقد ذكر أندرو مورتون فى كتابه السابق بعض الأمثلة التى جسدت شدة هذه الأزمة بين ديانا وعالم الصحافة، ومن هذه المثلة (وعند شقة ديانا رابط جيش من الصحفيين لمتابعة أخبارها، واستخدمت ديانا حيلة بارعة للتخلص منهم، فكانت تتفق مع زميلاتها كارولين أن يتبادلا السيارات عند نزولهما من الشقة، كانت كارولين تستقل سيارة ديانا الحمراء المعروفة فيجرى وراءها الصحفيون والمصورون، وعندما يكتشفون أنها ليست ديانا، تكون ديانا قد استقلت سيارة صديقتها وهربت منهم. وذات مرة كانت ديانا مدعوة على العشاء ولقضاء الليل فى حفل عند أحد الأصدقاء، وحتى تهرب من جيش الصحفيين الذى كان فى انتظارها عند الباب، قطعت ديانا ملاءات السرير، وحولتها إلى حبل طويل ربطت فى نهايته حقيبة ملابسها، وأنزلتها من نافذة المطبخ، بعيدا عن انظار الصحفيين، ثم زاغت هى الأخرى منهم، وفى مرة أخرى كان الصحفيون يطاردونها فى الشارع فتسلقت صفائح القمامة، ودخلت أحد المتاجر فى نايتسبريدج من الباب الاحتياطى للحرائق، وفى مرة ثالثة تركت ديانا وكارولين سيارتهما وقفتا فى الشارع لتلحقا بأحد أوتوبيسات لندن ذى الطابقين واللون الأحمر لتهربا من الصحفيين، وعندما توقف الأتوبيس فى إشارة حمراء للمرور، كاد الصحفيون أن يلحقوا بها، هبطتا من الأتوبيس ودخلتا أحد متاجر الأحذية للاحتباء

(١٤).

الصراع الجنسي والنفسي بين ديانا والآن هير تشارلز وكاميل اللعوب

هناك نوع من النساء يأخذ ولا يعطى ونوع بقدر ما يعطى بقدر ما يأخذ، ونوع يعطى وفي نفس الوقت يأخذ، ونوع لا يعطى ولا يأخذ، ونوع آخر من النساء يعطى ولا ينتظر الأخذ، يعطى بلا أخذ، بلا حدود، ومن هذا النوع الأخير كانت كاميل باركر باولز.

وهي من النساء التي قد يظلمها التاريخ، وإذا لم تتمهل خطاه أمام سيرتها الذاتية طويلاً، وقد ينصفها التاريخ إذا تناول أطوار حياتها بالتدقيق والتحليل، وقد يمر عليها قطار هذا التاريخ فلا تلحق بأى عربية من عرباته فتنسى تماماً فى محطة من محطاته، عبر تاريخ البريطانيين، وعبر تاريخ السير العام.

تذكرنى كاميلا، على نحو ما بشخصية من شخصيات رواية «السراب» للكاتب الروائى الكبير نجيب محفوظ، والتي نشرت عام ١٩٤٨ فى طبعتها الأولى، وهى شخصية ثانوية، لكنها مؤثرة، كان لها تأثيرها النفسى والجنسى على شخصية كامل بطل هذه الرواية، فى كل مراحل سنين عمره حتى انتهت به الحياة إلى سراب، مثل ما فعلت على نحو ما أيضاً، كاميلا فى حياة الأمير تشارلز وزوجته الأميرة ديانا، التى وصلت إلى نفس المصير ونفس النهاية، عبر سراب نجيب محفوظ، عبر نفق من انفاق العاصمة باريس. فمن هى كاميلا باكر هذه؟ وما هو هذا التأثير النسيجي الشديد الالتصاق بين قطبي التلاقى والتنافر، على مستوى التحليل النفسى والتحليل الجنسى الذى هيمن على عالم كل من الأميرة ديانا والأمير تشارلز وكاميلا باركر نفسها بين الإثنين؟.

* * *

كاميلا من آل شاندى أحد أشهر العائلات الثرية الأرستقراطية فى ريف إنجلترا، ولدت فى يوم السابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٤٧، فى كنف والدها بروس شاندى، الذى عمل بالتجارة حتى أصبح من أكبر تجار الخمور فى كل بريطانيا، وهو حسب ثرايه يقترب درجات من آلة الحكم الإنجليزى، الذى كان يتمثل فى العائلة الملكية التى كان على رأسها الملك أدوارد والملكة اليزابيث الأولى ثم الثانية، عبر أمها روزالين ابنة اللورد آشكريب، الذى ارتبط إرتباطاً وثيقاً بألوان بكنجهام، هذا القصر الذى أصبح حتى الآن أحد رموز السقوط الأخلاقى الذى نزل بالتاج البريطانى إلى أسفل سلم له من خلال مأساة كل من الأميرة ديانا، وكاميلا الصديقة الحميمة لأسرة التاج.

وقد ارتبط هذا التاج البريطانى بالطفلة كاميلا منذ أن وعت وفتنت بحكايات جدتها «اليس كابل»، التى إذا عدنا إلى الوراء، عبر حقبة زمنية سابقة، هذه الجدة كانت لها حكاية فاضحة مع ملك الإنجليز إدوارد السابع، حيث كانت من أهم عشيقاته، وكانت الطفلة كاميلا تشبه إلى حد كبير جدتها عبر ملامح الجسد ولامح الوجه، الذى سيفتن به تشارلز ويعيد حكاية جده الملك إدوارد السابع. كانت أمها روزالين تحكى لها عن



الجدة اليس، وكيف كانت تقوم بدور العاشقة التي استولت على مجريات أمور كثيرة فى القصر الملكى، وكيف خضع لها أدوارد حتى كادت أن تصبح هى الملكة. شغفت الصغيرة كامبلا بهذه الصورة من العظمة ومن الفخر أن أليس جدتها كانت من أهم الشخصيات الدسائنية التى أحبها ملك الإنجليز أيام المستعمرات البريطانية فى الشرق الأدنى والأوسط، ولم تكن قد تخيلت على بساط الواقع، أن جدتها أليس كانت تنام عارية فى صدر رجل أيا كان مركز هذا الرجل، وأنها داعرة لا تعرف للشرف العائلى طريقاً ولا للسمعة الإجتماعية تحفظات الإستقامة، حيث أقامت أليس مكانتها على امكانيات الجسد الثائر فيها، فى سوق كان يباع فيه الشرف مقابل المكانة الملكية من بين أكتاف إدوارد السابع فى حياة قصور لندن والريف الإنجليزى، لم تع كامبلا فى هذا السن البكر معنى الدعر الإجتماعى والدعارة السياسية، بقدر ما وعت عبر حكايات أمها روزالين أن جدتها أليس كانت حديث المجتمع الراقى، وحفلات المساء، وتشابك يداها مع عيون وأيدى صاحبها الملك، وسط حفاوة رجال ونساء البلاط، مما دفع الجدة أليس إلى زميلاتها من الصغيرات، حيث كانت تقوم بسرعة حياة جدتها أليس حول كيفية كيف كانت تسيرو أو تتحرك من مكان إلى آخر، كيف كانت تتناول طعامها وأى نوع من الأطعمة كانت تتناولها مع الملك إدوارد، وكيف كانت ترتدى ملابسها، وأى نوع من الملابس كانت ترتدى، ومن كانوا المقربين إليها من أهل البلاط الملكى، كانت كامبلا مبهورة ومفتونة بهذا النوع من النساء، هى تمثل فيه الفرع من الأصل الضارب فى الدعر والرزيلة، رغم أنف الملكة الكسندرا زوجة الملك إدوارد السابع، والتى لم تستطع وهى ملكة أن تمنع أليس من أن تكون ملازمة لفرأشها عشيقة لها كل نفوذها من خلال الجسد فى كل من يسكنون أو يقيمون أو يمتنون بصلة ما بالقصور الملكية، ومن ضحكات القدر، أن مثل هذا سيحدث عن طريق كامبلا مع تشارلز فى السنين المقبلة.

* * *

فى باحة واتساع ضاحية «بلامبتون» عاشت كامبلا طفولتها، كما كان يحلو لها، وكما ارتضت لذاتها مثل هذا السلوك الخاص بها، والذى لا يميل إليه كثير من الأطفال

فى مثل سنهآ، حين اختارت الجنس الآخر من الصبيان رفيقاً لها، فى ألعابها وانطلاقاتها بطول كل مقاطعة «سويسكس»، كان ميلها إلى مرافقة الصبيان ميلا غريزيا لا يخضع فى داخله لأية إرشادات عائلية أو إجتماعية، ومن هنا اكتسبت كاميلا تاريخاً تجريبياً فى معاملة عالم الرجال منذ نعومة أظفارها، خاصة أنها كانت صريحة، ضحوكا، مهرجة، قريبة من عبث الصبيان بها، ويبدو أنها قد ولدت ولوعة بالعشق لعالم الرجل، عكس ميلها إلى مصاحبة البنات فى مثل سنهآ، قد تراها فى ركن هادئ مع طفل يمثل معها لعبة «عريس وعروس»، وهى قابضة على لهوه معها، وقد تراها فى ظل شجرة تأنس لحكاية تحكيها ببراعة لصبى الجيران، عبر أنوثة مبكرة داهمت جسد الصغيرة كأنها ولدت امرأة كاملة الغريزة، وقد تجلى هذا السلوك الغريزى فى الطفلة كاميلا عبر حياتها المدرسية، عندما ذهبت إلى مدرسة «دومبريلز» وهى تجتاز المساحة العشبية الخضراء المليئة بالأشجار حتى تصل إلى قرية «دويتشنج»، بعد أن تكون قد قطعت أكثر من ثلاثة أميال، بين بيت الأم روزالين ومن القرية، أثناء هذه المسيرة فى الذهاب أو العودة كانت تتسلق الأشجار التى تقابلها فى الطريق أو تشق طريقها وسط زحام الأغنام والأبقار، وتقفز فى القنوتات المليئة بالماء والطين، فاتحة ذراعها لحب الحياة والناس، دون فواصل دون حواجز حتى إذا ما وصلت إلى دومبريلز تصبح محط أنظار الجميع، عبر قبول باسم وتهريج مستحب من قبل زملائها، وتصبح فى ذات الوقت وجودا مرفوضا، وسلوكا معيبا، ورمز الإخلال بالنظام من قبل المدرسين والإدارة المدرسية، على نسق النظام التقليدى الذى عرفت به المدارس الإنجليزية فى هذا الوقت من أهمية الإنضباط ودقة أوقات الدروس وهذه التوعية من المدرسين الذين لا تعرف وجوهم الإبتسام إلا فى لحظات نادرة، ثم تأتى لوحة العقوبات التى تفرض على التلاميذ عبر أى هندام غير منظم والأهتمام الحريص على السلوك داخل الفصل المدرسى وخارجه عبر الردهات والطرق، والإلتزام المقدس لإحترام المدرسين ولكل من عمل داخل المدرسة حتى العامل الذى يدق الجرس.

ومن هنا ونتيجة لطبيعة كاميلا الجامحة المنطلقة تعبت وعانت كثيراً من هذه النظم المدرسية، وبات لها أن البقاء فى المدرسة مثل البقاء فى دورة مياه عمومية فى ميدان



عام، وكثر عقاب مدرسيها لها، وكثرت الشكاوى من معاملتها القاسية مع البنات ومعاملتها الحانية مع صبية مدرسة دومبريلز، وقد تركت كامبلا هذه المدرسة عبر السنوات التسع من عمرها وهي أكثر قدرة على المواجهة وتحدى الآخرين ومداومة الصراع ضد كل ما كانت تؤمن به أنه صواب، خاصة نحو هذا الميل الغريزي الجارف نحو التشبه بالصبيان.

* * *

وقد ظهر هذا التناقض جليا عندما ذهبت الصبية كامبلا إلى العاصمة لندن وألحقت بمدرسة كوينزجيت، الراقية، والتي لا يلتحق بها إلا أبناء أرقى الطبقات الإنجليزية، عندما اصطدمت بها التلميذات هناك ممن تجاوزن العاشرة من العمر عبر تناقضات سلوكية حارة كانت تتمتع بها كامبلا عنهن، ومع وجود مثل هذه التناقضات كانت كامبلا مصدراً من مصادر البهجة عند هؤلاء التلميذات الفاقدمات عناصر الإندفاع والإقتحام والمغامرة والصراحة والتلقائية في تناول الموضوعات المحرمة الحديث عنها بين جدران المدرسة،

* * *

بهذا الكيان وهذا التكوين المخالف لكثير من عادات السلوك الفردى عدد فتيات الإنجليز واجهت كامبلا الأمير الشاب تشارلز ولى عهد التاج البريطانى.

كان هذا عام صيف ١٩٧٠، وتشارلز فى الثانية والعشرين من عمره، وكامبلا تكبره بعام واحد، وكان اللقاء فى أرض الجولف الملكى، عندما اقتحمت المكان كامبلا، وهى تمسك بلجام حصانه، الذى مدحته بأنه حصان يليق بفارس، مثل مدحنا لطفل لإمرأة نريد أن نغازلها، وكان حديث الحصان هو سبيلها إلى فارسها الجديد. كانت خبيرة بالرجال، وكانت تعرف مسبقاً سبيلها إلى قلب الرجل، ومن هو هذا الرجل؟! هل الشاب تشارلز ولى عهد إنجلترا، من سيكون ملكاً على بريطانيا العظمى، المملكة المتحدة، التى كان يقال عنها فى هذا الوقت بلاد الشمس الدائمة، أو التى لا تغرب عنها الشمس أبداً، من خلال احتلال إنجلترا لشبه القارة الهندية والمستعمرات الأخرى المجاورة، وشمس

غربت منذ نصف قرن، عبر أذعياء الإستعمار والقوة من بقايا النبلاء واللوردات، وعلى هذا القياس السابق تجلى لكامبلا إختيارا غربت عنه شمسه، عبر الأمير تشارلز، الذى نظر لها جوله، أثارته فيه رغبة الرجل لا الأمير، على عكس ما كان فيه، وعلى عكس ما كان يعانیه، من برود عاطفى وشبه مأم جنسى، فلم يكن يرغب فى النساء مثل الآخرين، رغم تجاربه القليلة من بعض النبيلات وزوجات اللوردات، إلا أن كامبلا منذ لحظة اللقاء به فى أرض الجولف عبر عصى البولوا أيقظت فيه ما كان نائما، عبر أسر حسى كان يدلع من عينيها الملونتين وشعرها الأشقر المائل إلى الإحمرار مثل بشرتها وأنفها الطويل الذى يكاد أن يفصل بين خديها وهذه الشفاة الشرهة بالحديث والدلالات والإنحناءات مع كل كلمة تخرج منها إلى شفثيه، وهذه الأصابع التى كانت تتكلم عبر الإشارة والإنحناءة وأعطاء المثل على ما نقوله، حدثته كامبلا عن جدتها أليس، وحدثته بنفس الحماس عن جده أدوارد، وما كان بين الأثنين من تاريخ قديم وطويل عن علاقة الحب الذى كان، والحب الذى لا تريد له أن يموت.

من خلال كامبلا وتشارلز ومنذ هذا الحديث طرحت كامبلا جسدها فوق فراشه، دون أسباب مواتية، إلا أن تكون قريبة منه، وتستطيع أن تشكل له حياته، وتستطيع بالنالى أن تكون جزءا محوريا فى التاريخ البريطانى، أما تشارلز، رغم جموده، وتسلط إرثى خاضع تماما للزوميات وتعليمات وإرشادات وقوانين القصر الملكى، خاصة من جانب أمه اليزابيث، فقد أسرته كامبلا، مكبلا بكل رغبة وجدانية وجسدية فيه، أن يسلم قيادته لها، عندما تلامس الجسدان لأول مرة، أيقن أن كامبلا هى المرأة هى الجسد الذى كان فى انتظار أن يلقاه، سواء فوق سزيره أو فى أية حجرة من حجرات قصوره الملكية، أو عبر رحلاته البحرية، فوق يخوت التاج الملكى، أو عبر رحلاته حول العلم، وقد ناصر هذا العشق الآثم أطراف كثيرة من أرباب النياشين والألقاب ومن ذوى المكانة العالية فى القصور الملكية، خاصة ماونباتن عمه الذى شجعه على إقامة علاقة آثمة وارتكاب جريمة الزنا مع كامبلا، التى كانت هى بدورها على علاقة جنسية مع غير الأمير مثل أندرو الذى كانت تريد أن تدفع الغيرة به من تشارلز باغية زواجه منها، وقد هيا عم تشارلز كل الظروف المتاحة وغير المتاحة لإغراق تشارلز بين أحضان كامبلا،



وقد لعب هذا العم دوراً كبيراً فى تهيئة الظروف الحسية فى حياة ابن أخيه، وإرشاده إلى تعلم كثير من الخبرات فى معاملة النساء وإحاطة هذه الحسية فى جسد تشارلز بهالة من المشروعية وإبلاغ بعض الجهات الإعلامية بمثل هذه الأخبار، حتى دفع الرأى العام البريطانى إلى تخيل إن مثل هذه العلاقة ستصل فى يوم من الأيام بزواج كاميلا من الأمير تشارلز، وفى الوقت ذاته كان عمه متأكداً استحالة مثل هذا الزواج، على الأقل طبقاً للنظام الملكى.

وفى الوقت ذاته أيضاً كان يعد إبنته للزواج من الأمير، لكنه فشل فى إقامة علاقة بين الإثنين لأن كاميلا كانت هى الأقوى، وهى التى كانت أشد تأثيراً وجدانياً وجنسياً على عقل وقلب وجسد الأمير تشارلز فيليب، كما كانت الملكة اليزابيث تعلم بمدى العلاقة بين إبنها وبين كاميلا، التى وجدت فيها الأداة الفعالة فى تكوين رغبة الجسد فى عيون إبنها تشارلز رغم أنها على يقين أنها أى كاميلا لا تصلح له زوجة بقدر ما تصلح له عشيقة فى ظل التاج الملكى الذى كان يميل كثيراً إلى تواجد كاميلا فى سرير تشارلز، رغم علم الملكة وغيرها من أعضاء الفئة الحاكمة إن كاميلا لم ترق فقط للأمير تشارلز، فمن قبل شاركت فراش الكثيرين من الشباب، خاصة مع كليفين يورك إن أوبرى يورك أحد أكبر أثرياء لندن، الذى حولها من فتاة عذراء إلى امرأة جامحة شهرة لإشباع نهمها الجسدى لأى مغامر يريد إصطيادها وهى لم تتجاوز بعد العشرين من سنين عمرها، وخرجت كاميلا من تجربة الجنس مع أوبرى يورك إلى صياغة جديدة فى التفكير فى الذات وفى التفكير فى الوصول إلى أقصى طريقة فى الإمتاع والإستمتاع بالرجل، الذى تسلل له ساقها، وانتهت متعة الجسد مع أوبرى بعد أن أخذت منه جنسياً ما أردته تماماً من رجل أسر مثله، لكى تعطى لجسدها فرصة البحث الجدى عن رجل آخر يستطيع أن يعطيها ما لم تستطع أن تأخذه من يورك بعد أن تضرب معينه.

قانون « طظ »

بين كاميلاً وزوجها أندرو

قبل أن تعرف كاميلاً طريقها إلى أحضان تشارلز فيليب ولى عهد بريطانيا لعب أندرو باولز دوراً كبيراً وحاسماً فى حفر وتمهيد وإنشاء هذا الطريق إليها عبر قانون «ظظ» مع الفارق. وكلمة «ظظ» طرحها نجيب محفوظ قانوناً وضعياً خاصاً عبر شخصية محبوب عبد الدايم، وفى ثنايا وقائع رواية «القاهرة الجديدة» التى نشرها عام ١٩٤٥ م، وكانت تحمل اسم «فضيحة فى القاهرة» عندما نشرت أول مرة، وهناك كلمة بديلة أو قريبة من كلمة «ظظ» وهى عبارة «لا شئى بهم» والتى كانت عنواناً لرواية إحسان عبد القدوس، التى نشرت عام ١٩٦٣ م.

وبين كلمة «ظظ» وعبارة «لا شئى بهم» تتجلى شخصية «أندرو» فى حياة الأميرة ديانا والعاشقة كاميلاً، رغم إختلاف الظروف والأحداث والأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية بين شخصية «محبوب عبد الدايم» فى الحياة المصرية وشخصية «أندرو» فى الحياة البريطانية. كان عام ١٩٦٧ م وهو عام بداية الصداقة بين ضابط سلاح

الفرسان أندرو ويورك باركر باولز مع كامبلا، منذ أن شاهدته في أحد الحفلات الأرسقراطية، ومنذ أن شاهدته قررت وصممت أن يكون زوجها لها، أو على الأقل أن يكون أحد عشاقها خاصة إنه كان ثريا جداً عبر ثراء والده.

هذه العلاقة القديمة والحميمة بين عائلة أندرو والعائلة المالكة البريطانية ومعرفة أندرو بكامبلا هي معرفة جنسية في المقام الأول، حين رأى فيها نموذجاً للمتعة الغابية التي قدمتها له بكل رغبة إشتهائية فيه، وقد عبرت عن هذا المعنى في الحديث عنه مع الآخرين، عندما كانت تروى تفاصيل طرق وأسلوب المداعبات الحسية معه، عليها بهذه الحكايات أن تأسره لذاتها، وتكسبه فيما بعد زوجاً لها وهو تفكير عقيم من كامبلا لأنها لم تكن أبداً جميلة، لكنها كانت مرغوبة في جسدها، مما دفع أندرو أن عرف غيرها من النساء علانية متحدياً كامبلا التي كانت تريده لجسدها هي فقط، لكنها فشلت وأخذت تبحث عن وسيلة فعالة من أجل تحقيق هذا الهدف، ورأته في فعل «الغيرة» عليها أن تقيم صداقة حسية مع آخر أفضل منه وأكثر منه شهرة ومكانة.

وأتجه تفكيرها إلى ولي عهد بريطانيا تشارلز فيليب الذي أسلم لها قيادة نزواته ورغباته، من الجانب الآخر أيقن أندرو أنه هزم ومن الذي هزمه؟ هل الأمير تشارلز، وعلى من كانت هزيمته؟ كانت من خلال كامبلا التي أصبحت عشيقاً للأثنين مع علمها أن أحدهما لا بد في نهاية المطاف أن يكون زوجاً لها، وفعلاً أستطاعت كامبلا أن تجعل من أندرو خطيباً لها، كان هذا عام ١٩٧٣م، عندما صدم تشارلز بهذا الخبر، الذي جعله يبكي أمام بحارة يخته الملكي وهو في رحلة شبه القارة الهندية. وقد تم زواج كامبلا من أندرو في صيف هذا العام، عبر حفلة ملكية تحدثت عنها وسائل الإعلام بإستفاضة، وألمحت بعض المجلات والجرائد وتحدثت بعض نساء القصر الملكي عن بعض ألتغاز هذا الزواج، وكيف قبل أندرو أن تكون كامبلا هي زوجته، وهي في متناول سريره ويده؟.

كان أندرو في هذا الوقت يغيب كثيراً عن كامبلا، التي يبدو أنه شبع منها وهي لم تعد لهفة عليه، كان في داخلها حياً ويعيش تشارلز، وكانت تمارس الجنس مع زوجها أندرو وهي تتخيل تشارلز معها، وقد اكتشف أندرو هذا الخيال، وحاول من جانبه أن

يحول هذا الخيال إلى حقيقة، فبدأ يمهّد الطريق أمام الأمير ليقابل زوجته في فترات غيابها عن بيته، وفي داخله كلمة «طظ» تدوى في كل كيانه، وتسرع في ذاكرتنا المصرية صورة محبوب عبد الدايم، الذى كان يترك منزله في وقت معين من الليل أو النهار، ليأتى العشيق ليحل معه فوق فراش الزوجية، والفارق بين أندرو ومحبوب عبد الدايم كبير، لكن الهدف الذى يجمع بينهما واحد، وهو ترك المكان ليأتى عشيق الزوجة، يمارس معها صك الاتفاق المحرم الجسدى بين رجل وامرأة عبر موافقة الزوج، وهذه كانت مأساة محبوب عبد الدايم فى البيضة المصرية، عكس أندرو باركر فى مستنقع المجتمع الراقى الانجليزى، حيث كان من الطبيعى وحتى الآن الأزواج يتبادلون الرقاد مع الزوجات أثناء الحفلات العامة أو الخاصة، عبر اتفاق ورضى من جميع أصحاب هذه الطبقة، والتى كان من خلالها أندرو وزوجته كاميليا، التى أصبحت تسمى منذ اقتربها به بأسم كاميليا باركر، التى أصبحت القاسم المشترك كائى بين الأمير تشارلز وضابط سلاح الفرسان أندرو، وقد تطورت هذه العلاقة، ودفعها إلى الأمام أندرو، فأقام صداقة بينه وبين عشيق زوجته الأمير تشارلز.

وبهذا وجد أندرو طريقه الذى كان يبحث عنه طويلا، وفقا لمخططاته وطموحاته فى الوصول الجيد إلى قلب القصر الملكى، وبهذا يستطيع عبر عرى كاميليا فى احضان تشارلز أن يأخذ الثمن الذى يحدده هو ويفرضه هو فى مواجهة الأمير، عبر شعار «طظ» المصرى وشعار «لا شىء يهم، الغربى الدلالات، خاصة عندما حملت كاميليا، وجاءها ولدها وابنتها، ونحن لم نعد قادرين أن نحدد من يكون الأب لهما، هل هو أندرو صاحب المغامرات والعشيق، أم هو أمير البلاد تشارلز صاحب قصر بكنجهام؟! حتى انتهت علاقة أندرو بالعطش للجنس كاميليا، ولسطوة الجنس على هؤلاء ولغرابية الانتقام الجسدى عند هؤلاء، أن أندرو هذا أصبح عشيقا لأن شقيقة ولى عهد انجلترا تشارلز، عبر علاقة قديمة كانت بدايتها فى فترة منتصف الستينيات، وحتى الآن، وقد أقامت الأميرة آن علاقات جنسية مع كثير من الرجال، سواء قبل زواجها أو بعده، وتشارلز يقف مشاهدا بالسلب أمام هذا السقوط، لأن القاعدة تقول وكما تدين تدان، وكأننا عدنا إلى عصور الغابة ووحشية القلص ورداءة الحصاد، كأنه عالم من القطط، عالم من الكلاب .



صراع النساء بين

الأميرة ديانا

والعشيقة كاميللا

مثل البحث عن قطعة ماس فى كوم من الزبالة، كانت العائلة المالكة البريطانية تبحث عن عروس لولى عهد بريطانيا الأمر تشارلز فيليب، الذى زكمت سيرته أنوف كثير من البريطانيين، على عكس عدد قليل منهم، الذين كانوا يحلمون بملك أو أمير يعلى من شأن الفضيلة، ويضرب فى طريق الصواب عبر الأعمال الخيرية الكثيرة، والبعض لم يكن لا مع الأمير ولا منده، فى ايمانه المطلق بالغاء الملكية، ولا جدوى لوجودها طالما أنها أثر بغيض من تاريخ آثار الاستعمار البريطانى الذى أصبح هو ذاته سبة فى جبين هذا الفاج البريطانى، الذى رفضته الشعوب وأعلنت حربها على اسقاطه وعودته إلى جزره التى نخرها الدعر من القمة حتى القاع. كانت هذه العائلة المالكة فى

حاجة ماسة إلى عروس لإبنتها تشارلز، الذى مضى فى علاقته الجنسية مع كاميليا سنيلاً طويلة، والذى لم يستطع أن يجعلها زوجة له طبقاً لتقاليد التاج ومساييرة لبروتوكولات الأسرة، التى لا حول لها ولا قوة فى حكم بريطانيا.

والعشيقة كاميليا ذاتها أكدت لتشارلز عندما عرض عليها الزواج، رفضت أن تتحول من عشيقة إلى زوجة، حفاظاً على صداقة الأسرة المالكة، وخوفاً من أن يثور الشعب البريطانى ضد تشارلز عندما يصبح ملكاً ويأتى ولى عهده من بطن عاهرة، وكأن البريطانيين أنفسهم قد نسوا أو تناسوا تاريخهم البغيض فى حكم الشعوب وفى حكم أنفسهم، عبر رايات سقوط خلقى حول بعضهم إلى حيوانات متوحشة فى غابات من الحديد والأسمت، فما بال هذه العائلة المالكة عندما أرادت أن تبحث عن عروس عذراء، فى قصور مليئة بالبغايا، رحل العذر، عنها منذ سنين وأرادوها عكس ما هم فيه.

ولسوء حظ ديانا أنها كانت هى العروس حيث كان اختيارها مأساة، وكانت تقف على قمة هذه المأساة هى العشيقة كاميليا ذات الرجلين، أندرو ضابط الفرسان الغائب بكل ارادته عن جسد كاميليا، وتشارلز الذى احتل فراشه منذ زمن، بكل رغبة فيه فى جسد كاميليا. وكانت العروس ديانا هى من دفع الثمن غالياً.

* * *

كان يحلو لتشارلز أن يكون موضع اهتمام من قبل النساء، وأن يكن راغباً فيه، وأنه يستطيع أن يفعل معهن ما لا يستطيع غيره من الرجال، كان هذا مظهراً سطحياً من مظاهر هذا السلوك الحسى والسلوك الذاتى، والذى كان فى حقيقة الأمر سلوكاً تفويضياً عن معاناته الداخلية حيال سلوك أمه منذ أن كان صغيراً، وسلوك الآخرين من حوله لأنه ولى العهد، أما لو تجرد من هذا المركز الملكى الذى يتمتع به لما أقبلت عليه بائعة دندرمة فى أسواق القاهرة، وقد تجلى هذا الانفصام وهذا الإنفصال فى عديد من المواقف سواء كان تجاه ذاته، أو تجاه ديانا أو تجاه كاميليا أو غيرها من النساء.



ديانا زوجة بلازوج

شق طريق الزفاف قلب العاصمة البريطانية لندن، وسط آلاف من جموع المشاهدين، الذين انتظروا طويلاً حتى يمر موكب العروس ديانا، التي كانت تبتسم، لم تكن في هذه اللحظة قادرة إلا على الابتسام، لكنه إبتسام لمن؟! كان هذا السؤال هو الذى قادها إلى حجرة النوم فى القصر الملكى، عندما أراد الجسد أن يبتسم هو الآخر، فى هذه الليلة كانت القدرة على الابتسام الفاعل هو ما كانت ترجوه ديانا، تريد أن تنجح به، تريد أن يكون جسدها هو سبيلها إلى قلب الأمير، تريد أن لا يتقوض معنى الحلم، عبر خطوة غيو بلهاء فى عتمة جسد كانت متوكدة من لحظة شروقه وغروبه معه، ومعها أيضاً كانت ديانا على استعداد تام أن تعطى، ومن الممكن أن تنتظر، لقد علمها هذا تشارلز أن تكون هى البادئة هى الهاتفة بأسمه، الراكعة عند قدميه، الملبية لكل رغباته، المستعدة تحتوى كل هذا العالم فى سبيل أن يكون هو رجلها الأوحد، رجلها هى، لا رجل كاميليا أو أنا والاس أو أختها سارة، فى داخلها شواطئ ظمئ لقوارب المجداف، لأغنيات الأصيل، لتراتيل معبد فينوس وجميلة الجميلات نفرتارى، فى كيائها لحظة واحدة من التوهج المنتظر أن يدوم أو ينطفئ فى لحظات ولادته.

وعندما تعرت وقام بتقبيلها الأمير، كانت شفتاه تحمل إسم عشيقاته، كانت يده تحيط بصدر كاميليا، كان جسده يرتعد ناراً، لا فى صدر ديانا، لكن فى صدر نساء كان لهن السبق فى اشباع الأمير منذ هذه اللحظة، فى الليلة الأولى فى زواج القرن أيقنت ديانا، مع بعض الأمل، أن جسدها الجميل اللحيل هنا لن ينجح فى شق طريق البقاء، وأن العمر يبدو أنه رحلة قصيرة قصيرة حتى ستؤدى إلى الهباء، وأن العشق العجري لا يستطيع أن تشتريه لأنه لا يباع ولا يتواجد إلا عند أمثال كاميليا، وأن قانون الجسد لا يستطيع امتلاك نصوصه المؤدية إلى الحكم بالسجن أو الحرية، ولا ثالث لهما إلا القبض على الحجر، مثله مثل القبض على برودة الحجر.

وهكذا افترق الجسدان، جسد ديانا التى بقيت فى هذه اللحظات عذراء، وجسد

تشارلز الذى ضرب فى الجنس حتى النخاع، ولم يستطع أن يقول لها شيئاً إلا أنها جميلة، وكان الموقف يحتم أن تتحول هذه الكلمة إلى فعل جسدى، يرضى الأمل فى عيون ديانا أن تكون هى الأصل، لا الصورة، وتوالت الليالى، وتوالى التباعد، وترجمت الخطوات بين السرير ودورة المياه معنى غروب الشمس الدافئة قبل الأوان، واستسلام لحظة التلاقى فى نوبة غفوة فى أضواء المساء، عند ذلك تلمم ديانا جسدها الجميل الذى تعرى، والذى لم يستطع أن يبعضه الأمير تشارلز، إلا فى أوقات قليلة، تكاد أن تكون نادرة، ورغم هذه الندرة فى اللقاء الجسدى بين الأثنين، عرفت ديانا أن الفارس لا يستطيع أن يبقى فوق حصانه مدة طويلة، لأن الخيول الأخرى أضحت أكثر عناداً فى امكانيات الثبات النشوان تحت جسد الفارس، وبالتالي بدأت عيون ديانا تبحث عن الآخر، أيا كان نوعه، وأيا كانت مكانته، بحثاً عن التعويض الذى قد تجده فى كلمات أغنية، أو فى نشوة لحن راقص، أو فى رقصة باليه لبجعة لم تعد الأولى فى الإيقاعات الرشيقية بينها وبين مشاهديها.

وقد احتالت ديانا عندما كانت تنفرد بذاتها فى حجراتها، وتطالع ما كان يكتب عنها، قبل أن تكون أميرة ويلز، وتجد فيها متعة تذكارية لماضى قريب الحدوث حول معنى السعادة، التى حاولت أن تبحث عنها فى قلب تشارلز فلم تجدها، وفى جسد تشارلز، فلم تجدها أيضاً، وندما أرادت ديانا أن تقيم حواراً بالجسد مع تشارلز لم تجد مفرداته، لغته، أسراره، كانت اللغة مفرداتها مبهمه، تحيط بها بقاع كثيرة من الغموض والحذر والغرابية، عبر طقوس لحمية لم تستطع أن تشكلها عبر مفردات كان يتقنها تشارلز، لكن هذا الإلتقان لم يكن مهيباً لديانا كان لغيرها وهذا الغير أصبح هو جحيمها، حسب ما قرأت عن فكر سارتر عندما قال أن الجحيم هو الآخر، وهو معنى فلسفى باطنى فى المقام الأول لكنه كان عند ديانا هو أول دلالات هذا المعنى، عبر باب العواس، الذى أخمدته كامبلا فى رغبة ديانا.

وحاول تشارلز على أن جعل من ديانا مخلوقاً من الدرجة الثانية، كان يناديها بأسمها مجرداً ديانا، اذهبى يا ديانا، تعالى يا ديانا، أتبعينى إلى حجرة النوم يا ديانا،



أريد أن يطارح جسدك الغرام يا ديانا، بينما كانت ديانا تناديه بسيدي الأمير، مولاي أمير ويلز، صاحب الفخامة، ولي عهد بريطانيا، مما أحال كل هذه الكلمات إلى معنى يحمل في طياته معنى الجذب فى المشاعر والأحاسيس، يحمل معنى التباعد العاطفى الوجدانى بين اثنين، رجل وأنثى، ليس بين أمير وأميرة، مما جعل للصمت معنى، والرغبة الجياشة فى الإرتواء معنى، والهجرة الداخلية فى النفس الإنسانية معنى وللغربة فى المكان والوطن معنى وفى الحوار والحديث مع الذات معنى، كأن هذه القصور قد خلت من سكانها، وكأنها ليست إلا مجموعة من الأسماء والأحجار المنسية فى تاريخ قد فقد أهم معالم أحداثه.

ورغم هذا كله جاء، حملت ديانا، جاء ووقع الحدث الذى كان لا يمكن أن يقع، عبر جذب المشاعر وظلمة المكان وفقر الجسد من لغة الروح، حملت ديانا ووجدت فى هذا الحمل رحمة من السماء وخطاب تعويض لها عن عالم الصمت، وعندما رتبت على بطنها سعيدة بمعنى سيأتى لم تشترط فى داخلها أن يكون القادم ولدأ أو بنتأ، وسان بين الأثنين، وعليه أن ينزل إلى الأرض لتراه يبكى ويضحك ليملاً الدنيا من حولها سعادة وأخيراً جاء، جاء الأمير وليام ليضئ لها النور من جديد.

- ٢ -

سقوط الزوجية

قبل مجيئ وليام، أثناء شهور الحمل، عندما يغادرها تشارلز لم تكن تعرف أين هو ذاهب، هذا لم يعد يعنىها ذهاباً، لأن إياها لن يأتى بجديد، فهو يخرج ويدخل جسدها أو حجرتها بألية وقتية خالية من كلمة وفاء، حتى من أجل من فى بطنها لكنها كانت تعرف أنه ذاهب إلى النساء، كأنها ليست من النساء، وكأن النساء يمكن ما لا تملكه، كأن المرأة الأخرى لها أربع أئداء بدلاً من ثديين، وأربعة أفخاذ بدلاً اثنين، وأربع شفاة بدلاً من شفتين، وكانت تعرف إن هذه المرأة الأخرى رأتها من قبل، فى حفلة، فى سهرة، فى رحلة، فى بيتها.

وتأخذ ديانا مكاناً أمام نافذة أو شرفة واسعة، أو فوق عشب القصر، وتتخيل كاميللا

كيف تدام مع الأمير؟ وما الذى يعشقه فى جسدها دونها، كيف تستدير له؟ كيف تمازحه؟ كيف تطلق النكات الجنسية لكى تثير شهوته؟ كيف تعرى له جسدها، وكيفية تعرية هذا الجسد ومن أين تبدأ؟ وإلى أين تنتهى، حتى يرمى بجوارها، يفور مثل الثور حتى يريت على بطنها أو أردافها أو يقبل من جديد باطن كف يديها. كادت ديانا أن تجن، عندما يبلغ خيالها مداه، وهى تعيش سكوت جسدها بجانب صمود المرأة الأخرى، أيا كان أسمها، وأحست بل أيقنت بجانب سعادتها بطفلها الذى ما زال فى بطنها، أيقنت أنها لا تريده، أنها ترفض تواجده، لأن تواجده من تواجد تشارلز فيليب، وهى ترفض الآن تشارلز لأنه أسقط أعلى قيمة فيها، هجرة لها وتعتمد إنكارها، فما يربطها به سيان أن تحرص عليه أو تفرق فيه، نسيت أن تكون كياناً مستقلاً وسلمت ذاتها أن تكون تابعة، وهى فى الوقت ذاته تبحث عن حل، تبحث عن إرادة قوية لوضع حد لسقوط زوج، ولم تكن تدرى أنها تبحث عن الموت، فى أشع صورة له، الموت بالإرادة، لا الموت بأمر إلا له، عندما سعدت سلباً عالياً وتوقفت قليلاً من أعلاه، وحسنت القضية فى لحظة، حين تركت جسدها يهوى من أعلى ليحدث دويًا فى أرجاء القصر الملكى، تريد أن تنهى حياة قصيرة الأجل عبر لحظة، وجسدها يهوى ويهوى ساقطاً من أعلى برج لندن، كان هذا هو إحساس ديانا بالمكان وباليوم وبالغريبان.

حين هرع الجميع إليها كانت رسالتها قد وصلت إلى من يهمه الأمر، لكن فى الحقيقة من كان يهمه الأمر؟ هل الملكة اليزابيث؟ هل ابنها تشارلز؟ هل أختها سارة؟ هل أخوها تشارلز؟ هل كل آل سينسر؟ كانت ديانا فرداً فى جزيرة، نائية عن العمار العاطفى، نائية عن العلاقات الدافئة، وفى بطنها جنين لا تريد له أن يكتمل.

* * *



إنتحار عصفور حزين

يقول الدكتور سعد جلال فى كتابه «فى الصحة العقلية، حول ظاهرة الإنتحار (هناك إجماع على أن المراهق أو الشاب الذى يحاول الإنتحار لا تأتى إليه الفكرة فجأة، ولكن الحادثة يسبقها عادة شعور بالإكتئاب واضطرابات يمكن أن تشير إلى الإتجاه الذى يسير إليه المراهق أو الشاب، وغالباً ما يتردد فى حديثه الكلام عن الإنتحار. وإذا حاول المراهق أو الشاب الإنتحار مرة فهناك احتمال كبير فى أنه سوف يكرر المحاولة، وغالباً ما لا تثير المحاولات الأولى انتباه من هم حوله. إن الإضطرابات الأسرية، وشعور المراهق بالعزلة من العوامل الهامة التى تتهى المراهق أو الشاب للإنتحار).

وإنطلاقاً من هذه التعريفات كانت ديانا مدفوعة رغباً عنها وفى نفس الوقت بإرادتها أن تقفز بجسدها من أعلى سلم القصر الملكى هادفة إلى التخلص من حياتها أو التخلص من خيبتها، عبر إرادة اعلامية تريد أن تعلم بها الغير أنها غير راضية عن حياتها، وعلى تشارلز فى المقام الأول أن يستوعب الرسالة جيداً، لكن للأسف أقام تشارلز لذاته سوراً، بل أكثر من سور، يعزل زوجته الجميلة ديانا عنه، عبر أجساد الداعرات وزوجات أهم موظفى القصر الملكى، ومن هنا أقبلت ديانا على الإنتحار مرة أخرى، عبر إصرار نفسى وجنسى غير مقنن، خاصة وأن تشارلز كان ما يزال مسحوراً بحب الذات ونعرة الأعلى والنفخ فى مديح هذه الذات، وسط تداعيات نرجسية، جعلته يفتح عينه أكثر فى مرايا داعرات زوجات القصر، مما دفع إلى حدة المواجهة بينه وبين ديانا، التى لم تخطئ فى حقها فيه كزوج لا كعشيق، وحقها فيه أيضاً أن لا يدفعها دفعاً إلى الخطأ، أيا كان نوع ولون هذا الخطأ، وهو ما يزال ينظر لها من أعلى، كأنها نكرة، جاءت من حوارى وأزقة لندن.

وإن هذا السلوك دفع ديانا أن تتخلص من حياتها، ليس لأن حياتها لا تقوم إلا على حياته، إنه شرط مجازى، قابل للرفض، هى تريد أبسط حقوقها كزوجة، مثل أية زوجة، أن تحس بذاتها، بكرامتها، واختلت بذاتها، وأعتدت على هذه الذات، عندما

أمسكت بشفرة حلاقة، وقطعت به رصغها، وانطلق دم عذابها يملأ المكان محتجاً على غياب معنى الحرص على الأسرة، وعلى الوليد، وعلى السمعة والأقوال المجنونة.

حول دائرة البحث عن أسباب إنتحار ديانا، وسط عالم حلم يحلم به من لا يعرف عنه أسرارته وسابق مآسيه، وكل ما استطاع أن يفعله أمير ويلز، بعض بقايا العطف والشفقة، وهي ديانا لا تريد عطفاً ولا شفقة خاصة منه، هي تريد منه الرجل القوي الغيور عليها، الحامي لذاتها، المدافع عن حقوقها ووجودها أمام أهوال وغرائب حكايات قصور لندن، خاصة أنها حتى هذه اللحظة كانت ديانا حريصة أن تبقى مثل ما شاهدتها الملايين في طريق زفافها، هذه النسمة الرقيقة، وهذا العصفور المغرد أمام من كان يطاردها من الصحفيين وسكان شارع الصحافة مع ما يكتبون، وما يسردون ويؤلفون عنها من الحكايات لكي يرضوا رغبات القصر الملكي، عبر لعبة حياة ولعبة موت، بين من كانت سندريلا وبين من كان أمل شباب بريطانيا في تاريخ ملوك لندن.

* * *

— ٤ —

الإصرار على الرحيل

إن اعتداء الذات على الذات هو فعل له سبق الإصرار على الموت، وصيغة تقديرية موجبة ومركبة حيال بشاعة الجرم الإنساني للوصول إلى غاية الموت انتحاراً. وهذا ما حدث بالنسبة للأميرة ديانا، التي حاولت من قبل أن تنتحر عندما دفعت بجسدها من أعلى سلم القصر الملكي، لكنها أنقذت في اللحظات الأخيرة، وعندما أصرت على الإنتحار في المرة الثانية عندما قطعت شرايين يدها، وأنقذت من الموت أيضاً.

لكن أن يصل الأمر إلى حد الرغبة في الإنتحار لمرة ثالثة، فهو فعل يدعو إلى عديد من التساؤلات والاستنتاجات حول الحالة المرضية والنفسية التي وصلت إليها ديانا، عندما تناولت سكيناً تستخدم عادة في فتح صفحات الكتب وتقليم الأظفار وفتح قلب الكرتون، وطمنت به ثدييها وجزءاً آخر من صدرها، ووسط عاصفة من الصياح والهياج والثورة الهستيرية ضد زوجها تشارلز، تركت صدرها وبدأت في طعن فخذيها،

حتى كادت أن تجاوز كل هذا إلى منطقة القلب لتنتهي تماماً حياتها، أمام عيون وفي تواجد زوجها تشارلز، الذى لم يهتم بما حدث لها، وما أحدثته فى جسدها، ولم يحاول أن يفهم رسالتها الثالثة عبر ظاهرة الإنتحار التى صاحبت خطاها وهى تدخل عالم القصر الملكى .

قد يكون الأمير تشارلز قد فهم تماماً الرسالة المكتوبة بدماء ديانا، ولكنه لم يمثل لمضمونها العام، الذى يصرخ بعدم الإهتمام بها، وإذا كان الأمر كذلك، أنه يريد أن يثبت لها أنه لا يهتم بها أصلاً، فإنا تزوجها؟ وربط مصيرها بمصيره؟! .

وقد نجد الإجابة فى إطار البحث فى الأمراض النفسية وأيضاً عن الإنحرافات السلوكية بالنسبة للأميرة ديانا، وبالنسبة أيضاً للأمير تشارلز الذى شارك مشاركة إيجابية فى دفعها إلى هذا العالم المجنون بالذات، والذى دخل فى حرب سلوكية شعواء حول ظاهرة «الذاتية»، مثل مصطلح «الرجسية»، حين يذهب أو يغيب العقل، ويبقى الإنفعال الوقتى أو طويل الأمد هو السيد المسيطر على السلوك الوجدانى فى النفس الإنسانية، وهذا النمط من السلوك الإنتحارى عند ديانا ربما نجد بعض أسبابه فى محيط العلاقات السوية وغير السوية، حين ندرك أن هذه العلاقات الأسرية، سواء من أفراد أسرة العائلة المالكة البريطانية أو عائلة ديانا، كانت علاقات غير سوية، عبر ظاهرة التفكير الأحادى أو الجمعى، حين سبح كل فرد فى تيار فردى ذاتى ضد التيار الآخر، حتى يحدث التصادم وقد حدث فعلاً فى الفعل الإنتحارى عند ديانا، بجانب ظاهرة الامتلاء الذاتى، أو حب وعشق الذات فى سبيل التفرد والإنتصار ضد ذات الآخر، وهذه الذاتية، عند الأمير تشارلز امتلأت حوافيها حتى أغرقت من أقرب منها، وهذا ما حدث من المحاولة الثالثة فى أنتحار ديانا .



حنان أم وجفاء أب

مثل ما جاء طفلها الأول ويليام فى تمام الساعة التاسعة وثلاث دقائق، صباح يوم الواحد والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٨٢، حين غمرت الفرحة الأمير تشارلز والوالدته الملكة اليزابيث، والأم ديانا قبلهما معاً، جاء طفلها الثانى هنرى أو هارى، لكن توقيت المجرى كان بالطبع مختلفاً، حيث وضعت ديانا حملها فى الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٤ فى مستشفى القديسة ماري.

والولادة أياً كان نوع العطاء فيها، هى هبة وهدية من الأم إلى الإنسان، يجب أن نشكر الله عليها، ويجب أن تشعر الأم التى تحملت رحلة هذا الوليد طيلة شهر تسعة أننا من حولها سعداء لها، نبادلها نفس أحاسيسها ومشاعرها كأم، ونحيطها بالعطف والحنان والرعاية الكاملة هى ووليدها. وقد حدث عكس هذا من الأميرة ديانا، ومع الوليد هنرى أيضاً، عندما قام الأمير تشارلز بزيارة ديانا فى مستشفى القديسة ماري، ولم يكن مشغولاً بالوليد قبل ولادته.

عبر هذا الجفاء وهذا التباعد بين الزوجين، نتيجة إنشغاله بغيرها من عشيقاته خاصة كاميلا التى كانت مازالت ترسم له معاملته لزوجته ديانا، نقول لم يكن تشارلز مشغولاً كآب بأبنه الوليد هنرى والذى لم يكن قد علم بعد بلوغ هذا الوليد، وعندما قام بزيارة المستشفى لم يكن همه إلا معرفة نوع الوليد، هل هو ذكر أم هو أنثى، ولم يتسم تشارلز وهو يشاهد وليده لأول مرة، لأنه عرف أن الوليد لم يكن أنثى وأحس بالغضب فى داخله أن الوليد جاء ذكراً، واحتار تشارلز وأمه الملكة وبقيّة الحاشية فى القصر الملكى فى اختيار أسم له.

لكن الأم ديانا استطاعت هى وحدها أن تختار له اسماً أمام إصرار الآخرين، إن اختيار أسم الوليد فى العائلة المالكة ليس من حقها، ورغم هذا واجهت ديانا هذه الهجمة الشرسة، نفاقاً للأمير تشارلز، والبحث عن خطوة عبر نفوذه، واختارت ديانا أسم هنرى أو هارى لوليدها الثانى والأخير. وقد يتساءل المرؤ عن سر عدم سعادة تشارلز بهذا الوليد الثانى؟ لماذا كان يريد أنثى وليس ذكراً؟! إن الإجابة لم يحن الوقت بعد لعرضها.